المحاضرة الثالثة
التوسع الاستعماري الأوروبي داخل القارة
(تأسيس المستعمرات)

أولاً- المستعمرات الإسبانية:

كان أمراً طبيعياً ومنطقياً أن يبدأ غزو أمريكا الإسبانية واستعمارها من المستعمرة الأولى التي أنشأها الفاتحون في **سانتو دومينجو**، فلم يحل عام ١٦٠٠ حتى كانت الأراضي الممتدة من **المكسيك الجديدة وفلوريدا** شمالاً إلى **شيلي** ونهر **دي لا بلاتا** جنوباً، فيما عدا البرازيل، تخضع للسيطرة الفعلية لعرش قشتالة.

لقد انتهت عملية الغزو كلها في مدة خمسين سنة، قام خلالها الغزاة الأوروبيون بالاستيلاء على إمبراطوريتي الأزتيك والأنكا، وبإخضاع القبائل، وباحتلال ثلثي سواحل القارة. ومهما كان الوصول إلى أمريكا سهلاً ومهماً، وكانت وسائل البيض متفرقة إلا أن نجاحهم كان عجيباً، ذلك لأن بضعة آلاف من الرجال قد تمكنوا من الانتصار على ثلاثين مليون من الهنود الحمر، كما انتصروا على البعوض والزواحف والحميات وثلوج الجبال وشمس المناطق الاستوائية ووحوش الغابات. ولاشك في أنهم كانوا قد تمرنوا على المتاعب الجسدية، وشحذوا همهم وهزائمهم في حروبهم المتصلة ضد المغاربة في الأندلس، كما شحذوا بشعورهم بالتفوق الحضاري والجنسي على غيرهم ولذلك فإنهم كانوا يسمحون لأنفسهم بكل شيء وبدون تردد.

وكانت الدوافع التي أوحت لملك قشتالة وملكتها بخلق إمبراطورية مترامية الأطراف في القارة الأمريكية هي الرغبة في الاستحواذ على ممتلكات أوسع كثيراً مما كانا يمتلكان، ونشر الدين المسيحي، والحصول على إيرادات كبيرة. أما الفاتحون الإسبان الأولون فكانت تحركهم دوافع عدة، اختلفت قوة باختلاف الأفراد، والزمن، والمكان. فمنهم من دفعته الرغبة في الظفر بالثروة والمكانة، ومنهم من عمل لرفعة مقام عرش قشتالة ومجده، أو لنشر المسيحية، ومنهم من أغواه حب المغامرة.

وقد تمت أهم الفتوح الأولى، دون أن يتحمل التاج أية تكاليف مباشرة. فإن قواد الحملات كانوا أفراداً فتحوا ما فتحوا من أراض على نفقتهم الخاصة، وبدوافع من أنفسهم، أو باسم الجالس

على العرش، أو بمقتضى مراسيم ملكية، في رجاء الحصول على إيرادات الأراضي التي وقعت في قبضتهم، أو منحهم حق حكمها وإدارتها. وعلى هذا الهدى فتح كورتيس المكسيك، وألفارادو جواتيمالا، وبيثارو بيرو، ويمينيس دي كيسادا غرناطة الجديدة، ومنتهيهو يوكاتان.

وكان مشروعهم للاستعمار مشروعاً عاماً وخاصاً في نفس الوقت: ذلك أنهم كانوا مزودين بمرسوم ملكي وكانوا يحاربون وينتصرون باسم ملك إسبانيا ولحسابه، ولكنهم كانوا ينظمون حملاتهم على نفقتهم الخاصة أو لحساب أصحاب رؤوس الأموال المستعدين لتمويل مثل هذه المغامرات، وفي الحالة الأخيرة كانت هناك عقود موثقة تحدد نصيب وحقوق كل من الأطراف المساهمة. وكان هدفهم هو اكتشاف أراضي جديدة، والإقامة فيها بأحقية وأولوية الوصول إليها وحكمها، واستغلال الأراضي والمعادن النفيسة، والمعيشة بألقاب طنانة وبمجد يثير الغيرة والحسد لأكبر سادة قشتالة في هذا الوقت. ويمكننا أن نذكر هنا بعض الأسماء لقادة الغزو الذين سجلوا أسماءهم في العالم الجديد، مثل بالبو وكورتيز وبيثارو وربما كان الحظ قد ساعدهم أكثر من غيرهم، ولكنهم استحقوا تسجيل أسماءهم في التاريخ حتى ولو كان ذلك بناء على المآسي التي ارتكبوها في القارة الأمريكية.

وما مضى إلا وقت قصير حتى كان لعرش قشتالة سيطرة مباشرة مطلقة على إمبراطوريته الفسيحة الأطراف، كما حققت الكنيسة التي كانت تحت رعاية التاج تنظيماً كاملاً لهذه الممتلكات، وممارسة نفوذاً عظيماً فيها.

١-غزو بنما (كاستيا دل أورو)

انضم فاسكو نونييث دي بالبوا عام ١٥٠١م إلى حملة استكشافية إلى أمريكا الجنوبية، فعبر سواحل الكاريبي عبر شرق باناما سنة ١٥٠١ حيث مرّ بخليج أورابا حتى رأس فيلا، كولومبيا حاليا. استطاع **نونييث دي بالبوا** بفضل ما ربحه من تلك الحملة من العودة إلى جزيرة إسبانيولا سنة ١٥٠٢ حيث اقتنى ضيعة وأقام عدة سنوات مشتغلا بالزراعة، غير أن الحظ لم يسعفه وتراكمت عليه الديون الشيء الذي اضطره لرحيل.

وصل دي بالبوا إلى منطقة بنما هارباً من إسبانيولا، حيث لوحق بسبب الديون، ومن أجل أن يهرب من الجوع الذي أحدثه تدمير السكان الأصليين، توغل إلى داخل البلاد، مفتتحاً بذلك المرحلة الحاسمة من الاستكشاف والاستيطان.

استطاع بالبوا الانتصار على كل مقاومة واجهته بفضل الأسلحة النارية والكلاب التي حمل عدد كبير منها. وفي أقل من عشر سنوات تحول نونييث دي بالبوا إلى سيد مطلق على أرض أصبح ثراؤها خرافياً، وكانت وفرة الذهب كبيرة لدرجة أن المهاجمين تفرغوا طوال سنوات للنهب وإبادة البشر واصطياد العبيد دون التفكير في المجاعات التي يهيئون لها بمحوهم التام لكل أشكال الحياة.

وأثناء اقتسامهم إحدى الغنائم، اكتشفوا وجود المحيط الهادئ، فقد فوجئ زعيم محلي شاب بجشع الغرباء تجاه الذهب، وحاول التخفيف من حدة نزاعاتهم قائلاً لهم إنهم سيجدون أكثر مما يستطيعون حمله من الذهب إلى الجنوب من "**البحر الآخر**" وعندما علم بالبوا أنه يوجد إلى الجنوب مناجم للذهب وبحر آخر واتته الفكرة بأن هذا البحر قد يكون بحر الهند، فسار لمدة عشرين يوماً داخل الغابات حتى رأى من أعلى التلال محيطاً كبيراً ليست له من نهاية، فنزل في الأمواج شاهراً سيفه، وأعلن ملكية ملك إسبانية لبحر الجنوب، الذي أصبح فيما بعد المحيط الهادئ. ولقد عينت إسبانيا بالبو حاكماً على هذا البحر فنقل أربع سفن، بعد تفكيكها، عبر البرزخ، ثم جمعها، وكان أول من يبحر على هذه المياه الجديدة.

وعند وصوله إلى شاطئ المحيط الجديد، سمع دي بالبوا للمرة الثانية كلاماً عن مملكة الذهب الخرافية، عن تلك البيرو التي سيتجهون إليها، والتي ستكون منذ ذلك الحين مشروع كل المغامرين وحلمهم، وفي تلك اللحظة عرف الإسبان كذلك أن المياه المحيطة بالجزر الصغيرة في خليج بنما تحتوي على احتياطي لا ينضب من اللؤلؤ.

كان لهذه الأخبار وقع عظيم في قشتالة، وبينما الدسائس لعزل دي بالبوا تتزايد، كانت حشود من الصناع والنبلاء تلح بصورة جماعية على السماح لها بالعبور إلى العالم الجديد. وانطلقت حملة مؤلفة من عشرين سفينة ومركبين شراعيين سريعين. كما تم تعيين **بيدرارياس دافيلا** حاكماً ونتيجة للخلاف بين الرجلين قرر دافيلا التخلص من الخصم المرهوب بالحكم عليه بالإعدام

حين سنحت له الفرصة الأولى. وجاءت نهاية فاسكو نونييث دي بالبوا حين كان يستعد للهروب إلى البيرو في أربع سفن بنيت بكاملها على شواطئ المحيط الهادئ، بمساعدة فريق من رجاله المقربين، وبجهود شخصية جبارة وموت عدة مئات من السكان الأصليين. واتخذ الحاكم **بيدرارياس دافيلا** من هذه "الخيانة للملكين" ذريعة لتصفيته. وهكذا تم قطع رأس دي بالبوا عام ١٥١٩.

٢- غزو المكسيك:

يتدرج غزو المكسيك، الذي تم بعد خمس وعشرين سنة من وصول كولومبوس، في سياق نظام استعماري ذي معايير جوهرية هو الدفاع عن السلطة ولو على حساب التضحية بقيم أخلاقية كبيرة.

يعتبر **فرانسيسكو أرناندیث دي كردبا** أول إسباني طاف بساحل شبه جزيرة **يوكوتان** عام ١٥١٧. واكتشفت في العام التالي حملة **خوان دي جريخالبا** ساحل الجزيرة نفسها وأدركوا وجود إمبراطورية كبيرة للهنود هناك. ولقد تحمس لهذه الأنباء السعيدة **(دييجوا بلاثكيث)** حاكم كوبا الذي ما لبث أن قام بتعيين الشاب **هرنان كورتيس** (١٤٨٥-١٥٤٧) قائداً على رأس حملة عسكرية عام ١٥١٩، والتي أسند إليها مهمة غزو ذلك البلد الهندي الغني الذي جلب لهم أخباره **(جريخالبا)**.

غادر كورتيس ميناء هافانا في شباط عام ١٥١٩ على رأس حملة قوامها إحدى عشرة سفينة تحمل أكثر من خمسمائة جندي وعدد من المدافع و١٦ حصاناً ، ويرافقه عدد من أصدقائه المقربين وعلى رأسهم **برنال دياز دي كاستيلو وبارتولومي دي ولمبدو**. وقد رحل كورتيس عن كوبا مسرعاً بعد أن وصلته أنباء عن نية الحاكم **بلاثكيث** تغيير قيادة الحملة.

هاجم كورتيس جزيرة جوثوميل بالقرب من يوكاتان وهناك استطاع تحرير عدد من الإسبان وعلى رأسهم خيروينمو دي أجيلار الذي كان قد وقع في أسر المايا منذ أكثر من ثمان سنوات. ثم تابع كورتيس حملته وصولاً إلى أراضي **التاباسكوس** وبعد معارك عنيفة مع السكان المحليين حقق كورتيس النصر وعقد اتفاقاً مع التاباسكوس حصل بموجبه على عشرين امرأة وعلى رأسهم السيدة مارينا (مالنتشي)، وتعود شهرة هذه المرأة لمعرفتها لعدة لغات محلية والدور الكبير الذي لعبته في حملات كورتيس بعد أن أصبحت مترجمته الرسمية.

وقد قام كورتيس بتأسيس أو تكوين مجلس إداري بناءاً على اتفاق مبدأي ينص على أن يكون هو قائد الحملة. وبما أن أصدقاء **بلاثكيث** حاكم كوبا لم يوافقوا على هذا الاتفاق حينئذ قام كورتيس بشنق أحدهم وقطع أرجل الآخر، ويقال أنه أمر بتحطيم أو تدمير السفن لكي يجعل من المستحيل العودة مرة أخرى.

وقد تلقى الإسبان في بيراكورث هدايا قيمة من إمبراطور الأزتك **(موكتيثوما)**، وأرسل إليهم سفراءه يرجوهم مغادرة أراضيهم مقابل الذهب الذي يتمنوه. وعلم كورتيس في ذلك الوقت بمساعدة عشيقته ومترجمته السيدة مارينا بالأسطورة التي تنسب إلى الإله **(كيتزاكواتل)**، والتي تقول بأن لون بشرته كان أبيضاً، وأنه وعد بالانسحاب، وبدأ كورتيس بالفعل في نشر هذه الأسطورة التي أفادت الغزاة كثيراً. ولكي يترك الإسبان انطباعاً لدى السفراء بدأوا بتحريك الجنود وعمل تدريبات عسكرية، كما أنهم بدأوا يطلقون بعض الطلقات من قطع المدفعية.

وقاموا بعد ذلك بإصدار تصريحات سلمية، وأرسلوا رسالة إلى الإمبراطور يطلبون فيها السماح لهم بزيارة عاصمته، ولكن موكتيثوما رفض طلبهم وأرسل لهم هدايا أخرى يصل قيمتها إلى ألفين دوكادوس.

وبدأ الجيش الإسباني في الزحف نحو **تينوتشتيلان** حينما طلبت بعض القبائل الهندية من كورتيس مساعدتها من أجل الحصول على استقلالها من الأزتك. وتغلب الإسبان على المقاومة، وذلك بمساعدة الهنود واستولوا على غنائم عديدة. ودخل كورتيس منتصراً **تينوتشتيلان** في الثامن من تشرين الثاني ١٥٠٩. واستقبله بكبرياء الحاكم الضعيف **موكتيثوما**. وقام كورتيس بإلقاء القبض على إمبراطور الأزتيك، لأنه كان يخاف من هجوم مباغت من قبل الأزتيك. وأثناء ذلك وصلت الأخبار تنبئ عن وصول حملة بانفيلو دي نارباث إلى بيرلكورث، والذي أرسله بلاثكيث بأمر بالقبض على كورتيس والاستمرار في الغزو باسم حاكم كوبا. وحينما علم كورتيس بذلك خرج مسرعاً من **تينوتشتيلان** لكي يواجه الحملة.

وبعد أن هزمهم بسهولة قام بضمهم إلى صفوفه، وعاد مباشرة إلى **تينوتشتيلان** لأن الأوضاع كانت قد تفاقمت هناك بسبب مذبحة النبلاء الهنود التي قام بها نائبه **بدرو البارادو**. وبدلاً

من أن يعاقب كورتيس نائبه أجبر الإمبراطور على أن يلقي خطبة على جموع شعبه الذين ما فتئوا أن رجموه بالحجارة حتى جرح ولاقى منيته إثر هذا الحادث بأيام قليلة وخلفه **كويتا لاهواك**.

وقرر الغزاة ترك المدينة، وحينما بدأوا أو شرعوا بالانسحاب تعرضوا لخسائر فادحة. وقد نجا البارادو بمعجزه حينما قفز من فوق قناة للمياه متكأ على حربته وهذا المكان معروف اليوم باسم قفزة البارادو. وتقول الأسطورة بأن كورتيس نعى حظه التعيس، وأطلق على هزيمته اسم الليلة الحزينة، وذلك لأن هذه المعركة التي كلفت الإسبان غالياً نشبت ليلاً. وبدأ الإسبان بعد هذه المعركة في إعادة تنظيم صفوفهم وتوطيد ائتلافهم مع الهنود المعادين للأزتيك، وبدأ الجيش الإسباني يستعيد نفسه مرة أخرى بعد أن تلقى تعزيزات من جامايكا وكانارياس؛ حيث بلغ تعداد صفوف الجيش الإسباني ٩٠٠ رجلاً من الإسبان و ١٥٠٠٠ من الهنود المعاونين و٨٦ حصاناً. وبدأ الجيش الإسباني في محاصرة **تينوتشتيلان** وكان يحكم في ذلك الوقت كوا هتيموك خليفة كوتا لاهواك الذي كان قد توفي متأثراً بمرض الجدري.

وبالرغم من حصار الذي ضرب حول الأزتك، إلا أنهم لم يستسلموا حيث استمروا في المقاومة من مكان إلى مكان ومن منزل إلى آخر حتى هزموا تحالفاً وسقط إمبراطورهم في الأسر وبدأ الإسبان في تعذيبه لكي يعترف بالمكان الذي يخبئ فيه الكنوز.

وتقول الأسطورة بأن الإسبان قاموا بمد الإمبراطور وأحد وزرائه فوق مضجع من الفحم المستعر. وحينما رأى الوزير الإمبراطور يتألم توسل إليه أن يسمح له بالكلام، إلا أنه أجابه بصبر ربما تعتقد أنني في فراش مصنوع من الورد. وهكذا استشهد أبطال الأزتيك دون أن ينبسوا بشكوى ودون أن يكشفوا عن السر الذي كان يبحث عنه الإسبان. وباحتلال **تينوتشتيلان** والموت البطولي لملك الأزتيك الأخير سقطت إمبراطورية الأزتيك.

وأعاد كورتيس تشييد الإمبراطورية، وأطلق عليها اسم المكسيك، ثم شرع بعد ذلك في تشييد مدن أخرى. وقام الملك الإسباني كارلوس الخامس في عام ١٥٢٢ بتعيين كورتيس حاكماً وقائداً عاماً، كما أعطاه منصباً يختص بالقضاء في إسبانيا الجديدة، وكانوا قد بدأوا في تلك الفترة يطلقون هذا الاسم على الأراضي الجديدة. ومع وصول أول نائب للملك **(أنتونيو دي ميندوثا ١٥٣٥)** بدأ تاريخ نيابة الملك في إسبانيا الجديدة.

٣- غزو البيرو (مملكة قشتالة الجديدة):

مذ شاعت أول الأخبار عن وجودها عام ١٥١٣، شكّلت البيرو محط اهتمام جميع المغامرين، فهي الأرض الموعودة التي حلموا جميعاً بغزوها، ومحركة الحملات التي أخضعت أمريكا الجنوبية كلها خلال ثلاثين سنة.

فبعد أن قطع رأس فاسكو نونييث دي بالبوا، واصل حاكم كاستيا دل أورو (بنما) مشروع خصمه، دون أن يصيب نجاحاً في البدء: فالقائد الذي بعث به لاستكشاف المحيط الهادئ اكتفى بنهب الشواطئ دون أن يجرؤ على المجازفة بالتوغل إلى الداخل.

وفي عام ١٥٢٢، قرر مستوطنان متواضعان أن يضما ما معهما من أموال ليمولا حملة جديدة ويقتسما مكاسبهما في حصص متساوية مع حاكم بنما، مقابل إضفائه الشرعية على عمليات السلب ومنحهما رتبة قائد التي لابد منها للفاتح. وهكذا انطلق **فرانثيسكو بيثارو وديبغو دي ألماغرو**، الجنديان المغموران اللذان لا يتقنان القراءة والكتابة، نحو مملكة الذهب النائية التي سيدمرانها.

كان الملك أو "الأنكا" يقيم في العاصمة كوشكو، وهذه العاصمة وكل المدن والعواصم الإقليمية الأخرى بنيت على نفس الطراز المعماري. ساحة كبرى تقوم فيها المباني الرئيسية وهي قصر الملك أو مقر الحاكم الإداري والمعابد الدينية وأهمها معبد إله الشمس، وفي وسط الساحة التي تسمى "أوزنو" مبنى حجري كبير تستخدمه فيما يبدو السلطات الملكية أو الكهنوتية للإشراف على الاحتفالات الشعبية في الميدان الكبير، وهناك أيضاً قاعات حجرية مغطاة السقف مثلثة الشكل ذات فتحات كثيرة تؤدي إلى الميدان تستخدم في عقد الاجتماعات عند هطول الأمطار وعدم إمكان الاجتماع في الساحة المكشوفة. وهذه القاعات ذات الأسقف الحجرية المثلثة تسمى "هالانكا".

ولكن هذه المملكة الآمنة المطمئنة المتقدمة المنعزلة لم يكن لها أي اتصال بالعالم الخارجي، فلا أحد يأتي لها من الخارج ولا أحد من أبنائها يتجاوز جبال الأنديز حيث يقيم. وفجأة جاءت طرقة من الخارج. طرقة من حضارة مختلفة تماماً. في شكل بعثة عسكرية استكشافية صغيرة من الجنود الإسبان.

كان الإسبان في ذلك الوقت قد استولوا على معظم أمريكا الجنوبية فيما عدا جبال الأنديز التي تقف شامخة مخيفة أمامها في الغرب، ووصلت هذه البعثة العسكرية الصغيرة بقيادة القائد الإسباني بيثارو إلى مدينة **كاجاماركا** وهي عاصمة إقليمية للأنكا في شمال وسط الأنديز في العام ١٥٣٢. كانت البعثة تضم أقل من ١٧٠ جندياً وعدداً قليلاً من المدافع والخيول، ولكن هذه القلة الضئيلة من الغزاة لم تكن تنقصها الروح الاستعمارية البغيضة وينطوي صدرها على أكبر قدر من القسوة والمخاتلة والغدر.

وصلت أنباء الغرباء القادمون من وراء الأفق إلى العاصمة كوشكو. وفرَّ ملك الأنكا المدعو "**أتوالابا**" أن يذهب بكل حاشيته وجيشه الجرار إلى كاجاماركا للقاء هؤلاء الغرباء. وليكن سلام ومحبة إذا خلصت نية القادمين، أو فلتكن هي الحرب.

وشعر القائد بيثارو أن لا قبل له بمواجهة هذا الجيش الجرار فوضع خطة جهنمية لأسر ملك الأنكا لإيقاع الفوضى في صفوف جيشه الذي يبلغ زهاء ٨٠ ألف من المقاتلين بالحراب والسهام تمتلئ بخيامهم البطاح خارج المدينة.

وأخذ الميدان الرئيسي في المدينة يعج بآلاف من الخدم والموظفين والكهنة والجنود غير المسلحين الذين جاؤوا استعداداً للاحتفال الرسمي باللقاء بين ملكهم وهؤلاء القادمين من العالم المجهول.

يقول بيدرو ابن عم بيثارو قائد الغزو: "**رأيت كثيرين من الجنود الإسبان يبولون على أنفسهم دون أن يدروا من شدة الخوف**".

ولكن بالرغم من هذا الخوف قرر الإسبان استغلال عنصر المفاجأة لشن هجومهم الغادر، واستغل بيثارو مباني الأنكا في الميدان الكبير "أوزنو" لتنفيذ خطته الجهنمية، فوضع بعض المدافع الصغيرة في المبنى الحجري المقام وسط الميدان للإشراف على الاحتفالات، كما أخفى رجاله في القاعات ذات الأسقف الثلاثية والفتحات الكثيرة المسماة "**هالانكا**" والتي كانت على حد تعبير أحد الجنود الإسبان "**كأنها صنعت خصيصاً لتناسب أغراضهم**".

وعند إشارة متفق عليها مسبقاً هدرت المدافع وخرج الجنود الإسبان المختبئون في القاعات وانهمرت النيران من البنادق على جموع الأنكا غير المسلحين والذين لم يروا في حياتهم ولم يتصورا في خيالهم مثل هذه الأسلحة التي تطلق النيران القاتلة فيسقط أمامها العشرات والمئات، فانتابهم الذعر واستبد بهم الهلع حتى أن البعض منهم ماتوا من شدة الرعب دون أن يصيبهم سلاح. أما الجنود الإسبان فقد انقضوا على هذه الحشود المذعورة المسالمة وأعملوا فيهم حصداً بسيوفهم وحرابهم وفؤوسهم وبنادقهم ومدافعهم وداناتهم، ثم هجموا على محفة الملك وانتزعوه منها بعد أن قتلوا النبلاء الذين يحملون المحفة.

كتب أحد الجنود الإسبان في مذكراته مفاخراً بهذا "**النصر**" يقول: "**في ظرف ساعتين كانت كل هذه القوات قد أبيدت، وفي ذلك اليوم كان السهل يمتلئ بجثث ستة آلاف أو سبعة آلاف من الهنود، وكثيرون آخرون جرحوا أو فقدوا أطرافهم**".

وكتب آخر يقول: "**كان شيئاً لا مثيل له رؤية هذا الحاكم العظيم الأنكا وهو يقع في الأسر في مثل هذه الفترة القصيرة بعد أن جاء في قمة عظمته وقوته**".

بوقوع الملك في الأسر تشتت كل جيشه وذهب هباء، لأن الملك هو مركز العصب في مجتمع الأنكا، وبدونه لا يمكن أن يصنع أحد شيئاً، تماماً كمثل خلية النحل إذا فقدت ملكتها تبعثرت وهلكت، ولذلك يقال دائماً أن فتح بيرو جاء نتيجة مثل هذه الحركة الشطرنجية في أول اللعب: "**كش ملك**".

سرعان ما شعر "**أتوالابا**" ملك الأنكا الأسير أن هؤلاء الغزاة الغرباء لا يهمهم سوى شيء واحد هو الحصول على الذهب والفضة، وفكر أنه يستطيع أن يفدي نفسه بفدية كبيرة من هذه المعادن الثمينة، فعرض على آسريه أن يطلقوا سراحه مقابل أن يملأ إحدى حجرات القصر بالذهب والفضة مرتين.

وأجاب الغزاة إلى طلبه. وبعد الترتيبات اللازمة سرعان ما بدأت قوافل حيوان اللاما تخرج من كل شعاب المملكة وتقطع الطرق الملتوية الضيقة عبر جبال الأنديز متجهة إلى "**كاجاماركا**"

حيث الملك السجين. كانت هذه القوافل تحمل أطناناً من الكنوز المعدنية الثمينة التي برع فيها شعب الأنكا. تماثيل رجال وحيوان وطيور وكؤوس ذهبية وفضية، ومجوهرات ومصاغ وموائد قرابين ذهبية، وأوعية ضخمة مصنوعة من الذهب الخالص والفضة النقية، بالإضافة إلى ٧٠٠ من الصفائح الذهبية الكبيرة التي كانت تزين جدران معبد الشمس في العاصمة "كوشكو". وجيء بهذه الكنوز إلى الإسبان فدية للملك أتوالابا.

وكل هذه الأشياء الرائعة الثمينة سحقت دون رحمة، وصهرت في قدور ضخمة لتحويلها إلى سبائك معدنية بواسطة الغزاة المتوحشين. وقد أرسلت بعض من أحسن هذه التحف إلى إسبانية، ولكنها هناك لم تنج من نفس المصير، إذ أمر ملك الإسبان بصهرها أيضاً لسك العملة الإسبانية التي تحمل صورته.

من المحتمل أن تكون فدية الملك أتوالابا هي أكبر فدية دفعت في تاريخ الإنسان. إن كل ثروات إمبراطورية الأنكا التي جمعت خلال ألف سنة قد انهمرت في هذا المكان كي تملأ الحجرة بالذهب مرة وبالفضة مرتين، ولكنها للأسف لم تكن كافية لإنقاذ حياة الملك، إذ بعد أن حصل الإسبان على آخر حمل جاء به آخر حيوان من قافلة اللاما، اقتادوا أتوالابا إلى الميدان العام في كاجاماركا وأعدموه بزعم أنه كان ينظم سراً هجوماً على الإسبان.

وكانت هذه كذبة كبرى، لأن قادة الأنكا لم يجرءوا على مهاجمة كاجاماركا ومليكهم سجين فيها خوفاً على سلامته، والحقيقة أن الإسبان، خاصة بعد أن وصلتهم تعزيزات جديدة وقرروا احتلال هذه الإمبراطورية العظيمة التي اكتشفوها، خشوا أن يطلقوا سراح الملك أتوالابا بعد أن دفع الجزية خوفاً من أن يجتمع رجاله حوله ويقوموا بهجوم، كما خشوا أن يصطحبوه معهم في تغلغلهم داخل مملكته تحسباً من أي مفاجأة.

وبعد موت الأنكا أتوالابا أصبحت الإمبراطورية تحت رحمة الغزاة. واستولى بيثارو في عام ١٥٣٣ على مدينة كوثكو بمبانيها المرصعة بالذهب الأمر الذي جعله يفرض سيطرته على البلاد عملياً. وبدأ البحث عن مكان بحيث يكون أفضل نقطة للاتصال مع إسبانيا، ويستخدمه كعاصمة للبيرو في نفس الوقت. ومن أجل ذلك قام بتأسيس مدينة ليما (مدينة الملوك) في ١٨ كانون الأول ١٥٣٥.

وبالرغم من القضاء على المقاومة الهندية وإخمادها، إلا أن الدولة لم تنعم بالسلام، لأنه سريعاً ما بدأ الغزاة في الانقسام على أنفسهم بسبب الأطماع السياسية والجشع، وكان بداية الانقسام هو اغتيال دييغو ألماغرو على يد بيثارو في السجن، وتفجرت الحرب الأهلية التي استمرت أكثر من عشرة أعوام (١٥٣٨-١٥٤٨)، وعاثت في البيرو دماراً، وامتدت الخلافات التي بدأت بين ألماغرو وبيثارو لتشمل الغزاة الآخرين وأقامت مجتمعاً كانت القاعدة فيه هي الحنث بالعهود، والقتل غدراً، والمذابح الجماعية، والعقوبات الصارمة، والسطو المسلح، وحين أضعف موت الممثلين الأساسيين من حدة هذه التناحرات الشخصية، كان الفساد قد استشرى وتوطد، حتى أن بعض الإجراءات النازعة إلى حماية الوطنيين كانت كافية لإشعال الحرب من جديد، وضد الحكومة الإسبانية نفسها هذه المرة، وقد جرى اغتيال نائبين للملك (بلاسكو مونييث بيلا أول نائب للملك في البيرو، وبدرو دي لاجاكسا) قبل أن يتمكن الثالث (أنتونيو دي ميندوسا) والذي كان يشغل منصب نائب الملك في المكسيك من قبل، ومع وصول هذا النائب يبدأ تاريخ الاستعمار الطويل في البيرو.

٤- غزو فنزويلا وكيتو:

لقد حول نهب البيرو من مسار تاريخ الفتح كله، فبعد معرفة طبيعة الغزاة الغرباء، الذين فقدوا سرهم نهائياً بعد معرفة ما الذي يسعون إليه سواء في نواياهم أو في حقيقة كلامهم، أبدى الوطنيون مقاومة عظيمة في جميع أنحاء البلاد، ونظموا حروباً توصلت أحياناً إلى إحباط محاولات الاحتلال لأمد طويل، وحيث أن سكان تلك المناطق كانوا جماعات متعددة من الوطنيين، بلا حكومة مركزية، فإن الاستيلاء على الثروات كان يتم عموماً من خلال حملات نهب لم تستطع أن تبدل شيئاً من البنى القائمة.

إن تاريخ الحملات العسكرية، المتماثلة في كل الأنحاء، والتي كانت تنطلق بحثاً عن الكنوز وتنتهي إلى كارثة، تكتسب في فنزويلا صيغة درامية خاصة، حيث حافظت هذه المنطقة على حريتها بفضل السهام المسمومة: إذ كان **الكاريبيون** (القبائل المحلية المستوطنة في تلك المناطق) قد تعلموا الدفاع عن أنفسهم. لقد كان الكاريبيون يعلمون أن الكذب هو اخطر أسلحة الغرباء، وأنه عليهم بالتالي أن يهربوا قبل وصول هؤلاء، وألا يبدؤوا معهم، تحت أي ذريعة، محادثة قد تقودهم إلى كارثة. وانطلاقاً من ذلك، اتخذوا إجراءات فعالة أمام اقتراب الغزاة فكانوا يحرقون بيوتهم ويخبئون مؤناً ورجالاً بطريقة لا تسمح بالعثور عليهم في أحيان كثيرة. وأصبح تكتيك حرب

الغوار لديهم أكثر اكتمالاً: فصاروا يحرقون معسكرات الأعداء ويفرون هرباً من الانتقام؛ ويمارسون الانسحاب الاستراتيجي بمهارة، مستغلين الظروف الطبيعية إلى أقصى الحدود، بنقلهم المعارك نحو مناطق المستنقعات التي تعيق حركة الخيول، أو نحو الأنهار المستحيلة على الغزاة، وحيث يستطيعون هم الحركة كالأسماك؛ أو نحو الأحراش الكثيفة التي تشكل قبوراً مؤكدة للأوروبيين.

بمجرد الانتهاء من غزو البيرو تم إرسال حملات عسكرية أخرى إلى عدة أقاليم. وكانت إحدى هذه الحملات تحت قيادة نائب بيثارو **(سيباستيان دي بنالكاثار)** الذي قام بغزو مملكة كيتو وضمها إلى بيرو؛ حيث دخل مدينة كيتو في شهر كانون الأول ١٥٣٣، وزحف إلى الشمال وتوغل في أراضي كولومبيا الحالية، وأسس مدينة بوبايان وتجول في وادي كاوكا إلى أن وصل إلى هضبة بوجاتا.

وقد دهش حينما وجد هناك **(جونثا لواخمينيث دي كيسادا)** والألماني **(نيكولاس دي فيدرمان)**؛ إذ إن كلاً من ملك إسبانيا وألمانيا كانا قد منحا –في نفس الوقت– غزو فنزويلا لشركة **ويلسر** (التي كان يمتلكها أصحاب بنوك ألمان من أوغسبورغ)، وذلك لأن الملك كان يدين لهم بمبالغ مالية ضخمة. وقامت عائلة ويلسر بتعيين **(أمبروسيو ألفنخر)** وكيلهم السابق في إسبانيا حاكماً على فنزويلا . ووصل أمبروسيو إلى فنزويلا عام ١٥٢٨، وحينما أدرك بأنه لن يجد ثروات كثيرة فإنه قرر القبض على الهنود وبيعهم كعبيد. وقام بتأسيس مدينة **(ماراكايبو)** عام ١٥٣٠.

وبدأ المكتشف القاسي بالتوغل في أراضي غير تابعة له إلى أن وصل إلى نهر **ماجدالينا**، وبعد أن دمر وخرب الأراضي التي مر بها، التقى في معركة مع السكان الأصليين، حيث سقط جريحاً جرحاً مميتاً.

وفي عام ١٥٣٤ وصلت إلى فنزويلا حملة ألمانية أخرى بقيادة **(خورخي سيبيرا و نيكولاس دي فيدرمان)**، ووصل فيدرمان إلى هضبة بوجوتا بعد ثلاثة أعوام من الاكتشافات، ودهش هو الآخر أيضاً حينما وجد هناك **كيسادا** و **بنالكاثار**، وبما أنه لم يكن يريد العودة نظراً لأوامر **سيبيرا** ، فإنه تنازل لكيسادا عن الجنود الذين كانوا معه مقابل ٦٠ ألف بيزيتا.

وفي عام ١٥٤٦ أوقف ملك إسبانيا كارلوس الخامس الامتياز الذي كان قد منحه للألمان، وقام بتعيين **(خوان بيريث دي تولوسا)** حاكماً على فنزويلا، وقام تولوسا بتأسيس بعض المستعمرات، إلا أنه توفي بعد مرور وقت قصير، وتبعه حكام آخرون. وحينما تم تأسيس مدينة كاراكاس في عام ١٥٦٠٩ أصبحت فنزويلا مستعمرة مؤكدة للإمبراطورية الاستعمارية الإسبانية.

٥- مملكة غرناطة الجديدة (كولومبيا):

بعد أن انتهت خرافات الخان الأعظم، أو الخاقان، وخرافات يوحنا الراعي، ظهرت خرافات جديدة، اتصلت بالعالم الجديد. فنجد أن أحد رجال بيزارو، ويسمى **أوربيانوا**، قد سمع بعض الهنود يتحدثون عن مملكة مليئة بالذهب، وعن أن ملكها كان يغطي نفسه بالتبر، أنه الملك الذهبي "**الإلدورادو**"، وكان قد ورث الإنكا وأسس إمبراطورية جديدة في داخل القارة. وانتقلت هذه الخرافة من فم لأذن، حتى أصبحت وكأنها حقيقية. وأضاف كل فرد إليها قليلاً حتى روت وجود أسدين مقيدين بسلاسل من الذهب لحراسة القصر الإمبراطوري، وأن الأنابيب التي توصل الماء إلى النوافير كانت من الذهب، وأن جبلاً من الذهب الخالص كان يشرف على الإقليم. وقام المستكشفون بالبحث عن "**الإلدورادو**" العجيب لمدة قرنين، وبحثوا عنها في كل مكان دون أن يعثروا عليه. ولكن ذلك البحث سمح لهم بالتوغل داخل القارة، وبالسيطرة على مناطق أوسع، وبنهب ما تصل إليه أيديهم.

كانت الأسطورة تقول أن نهر **ماجدالينا** هو الممر النهري الذي يفترض أنه يصل إلى بلاد الأنكا، ولكن المستنقعات التي تغمر منطقة المصب، واضطراب مياه النهر في ذلك المكان حالا دون تحقيق المشروع، وقد وجد مستعمرو سانتا ماريا أنفسهم مضطرين للتغلب على كل العوائق، فقد كان أحد فروع النهر صالحاً للملاحة شريطة أن تكون السفن قليلة الحمولة، وأتيح لهم تجاوز المنطقة الضحلة في المسار السفلي بفضل نهر محدد الضفاف يتصل بنهر **ماجدالينا** على بعد حوالي ٥٠٠ كيلومتر.

وبعد عدة محاولات فاشلة، تمكنت حملة يقودها كيسادا عام ١٥٣٦، من اجتياز عتبة الأرض الجديدة. وقد اضطروا، لتجاوز التيار القوي، إلى تحميل السفن بالأغذية فقط، ووجد الرجال أنفسهم مجبرين على السير على الأقدام حتى ملتقى النهرين، على ضفة النهر الذي أفادهم كسبيل. كان الرجال الـ ٦٠٠ يحملون اللوازم الضرورية على كواهلهم، لأنهم ما كانوا قادرين على الاعتماد

على مساعدة الوطنيين، ونتيجة لمشقات الطريق العظيمة ولتأخر السفن عن الوصول في موعدها –غرقت السفن الأولى، وكان لابد من تجهيز سفن أخرى–، مات ثلثا الرجال. ولما كان مجرى نهر **ماجدالينا** يصبح أكثر خطورة، تخلى كيسادا عن البيرو ليستكشف البلاد التي تشير كل الدلائل إلى أنها كانت مزدهرة ومتحضرة. فأرسل رجاله لتسلق الجبال بحثاً عن بحيرة الملح، بإتباع طريق الوطنيين الذين كانوا يقايضون ملحهم بمنتجات أهالي الساحل. وعلى الجانب الآخر من المرتفعات المذهلة، انكشف لهم بلد عجيب، ذو سهول غنية وأناس متسربلين بالذهب والزمرد. ووجد الغزاة مقاومة شديدة في كل مكان، ولكن هذا لم يمنعهم من جمع الغنائم.

حتى الدخول إلى مملكة **تشيبتشا**، كانت القيمة المتزايدة للغنائم هي المؤشر على المراحل. فالإسبان كانوا يحلمون بالاستيلاء السريع على كنز الملك **بوغوتا** الشهير، أصيبوا بقنوط شديد حين واجههم هذا الملك ليلاً ونهاراً بحرب دامت عدة أسابيع، إلى أن مات بطريقة غامضة في إحدى المعارك. وقد عانى ابنه الذي نجا من الموت من التعذيب على يد الإسبان إلى أن مات لرفضه الاعتراف بمكان الكنز، فقاد المقاومة في الجبال أحد أبناء أخيه، الذي اختير بوغوتا من قبل وجهاء النظام. وعندما وقع هذا الأخير في الأسر، تعهد بتقديم سلة مليئة بالذهب كفدية؛ ولكنه قضى نحبه تحت التعذيب أيضاً لتأخر وصولها.

ورغم حركات المقاومة العامة، ورغم بقاء الكنز الملكي طي الكتمان، فإن "**سجل الحملة**" يسجل دخول ثروات متزايدة الأهمية. وسرعان ما سيطر الغزاة المعتدون على البلاد وقادهم جشعهم إلى اقتراف أشنع الجرائم: فقد وصل بهم الأمر إلى انتزاع الذهب والزمرد الذي تقضي الطقوس بدفنه في بطون الموتى. وعلموا أن الهنود في منطقة نييّفا يستخرجون ذهباً شديد النقاء من الأرض، كما بلغهم وجود منجم زمرد مبهر، فتفاقمت صراعات حكام الإسبان وقادتهم للسيطرة على أرض الرخاء تلك، وتمثلت في واقعة فريدة: فوادي التشبتشيين السري، وهو المملكة المحمية بعقدة لا يمكن عبورها من جبال الأنديز، وبمئات الكيلومترات من المستنقعات والأنهار والأدغال، أصبح فجأة، كالشارع الرئيسي في عاصمتهم، مكان التقاء ثلاثة مرتزقة. وفعلاً، بعد أن تمكن كيسادا من حماية المكان من مواطنيه خلال ثلاثة سنوات، يصل بغتة إلى هناك الألماني فيدرمان قادماً من فنزويلا، و **بنالكاثار** زميل بيثارو، قادماً من كيتو.

إن النزاعات على ملكية الثروات التي اكتشفتها بعثات مختلفة في وقت واحد كانت طويلة وشائكة جداً، مما حدا بالقادة الثلاثة إلى الذهاب معاً إلى قشتالة لحسم الخلاف، وبالرغم من جهود آل ديلسير الألمان لإقناع الملك كارلوس الخامس بأن وادي التشبتشيين يقع ضمن قضاء فنزويلا، فقد انتهى الأمر بإقصاء فيدرمان عن المنطقة فكونه أجنبياً لا يؤهله للقيام بمهمة بهذا المستوى من السمو.

٦- الأرجنتين والتشيلي:

مع مرور الزمن ترسخت مقاومة الوطنيين للغزاة، وفتح الأرجنتين والتشيلي، وهما آخر بلدين خضعا، يوضح تلك المقاومة: فتاريخ فتح هذين الإقليمين هو سلسلة من المآسي، لم يعد فيهل الوطنيين وحدهم هم اللذين يموتون، وإنما كابد الأوروبيون خسائر جعلت عملية الاستيطان تعاني لوقت طويل من الإخفاق.

إن أراضي الأرجنتين الحالية، التي ارتادها سيباستيان كابوتو مابين ١٥٢٦-١٥٣٠ حتى أعالي بنما، اعتبرت في البدء مجرد مدخل للبيرو. ومن أجل ضمها إلى إمبراطورية الأنكا، نظمت في العام ١٥٣٥ حملة **(بيدرو دي ميندوثا)**. كما بدأ اكتشاف تشيلي كذلك باعتبارها جزءاً من تلك المملكة الخرافية على يد دييغو دي ألماغرو الذي لم يخامره الشك في أنه لابد لجنوبي القارة من أن يحتوي كنوزاً كثيرة مثل كنوز شواطئ البيرو، ومثل بيدرو دي مندوثا، هجر ألماغرو تلك الأماكن بعد آلام لا مثيل لها، وفناء جميع رجاله تقريباً، الذين ماتوا تحت ضربات المقاومة، أو هلكوا بفعل الجوع الذي كلن السكان المحليين يتسببون به نتيجة إحراقهم لمؤنهم عند اقتراب الغزاة. كما أرعبت الأوروبيون حرائق المستوطنات والسفن التي بدأت على ضفاف نهر ري دي لابلاتا، وكثيراً ما دفعتهم إلى الهرب وهجر المنطقة. وهكذا اختفت من الوجود العواصم الأوروبية الأولى: مثل اختفاء بوينس إيرس التي بناها ميندوثا، ومدينة سنتياغو دي تشيلي عام ١٥٤١، وهي سنة تأسيسها.

وعندما وصلت الأنباء إلى ليما بالمعاناة التي عاشها الإسبان في تشيلي، قام نائب الملك **(أندرس دي أورتادو دي ميندوثا)** بتعيين ابنه **(جارثيا)** حاكماً لهذه الأراضي. وجارثيا كان شاباً يبلغ من العمر ٢٢ عاماً حينما وصل إلى تشيلي عام ١٥٥٧. حيث استطاع إعادة السلم بشكل مؤقت إلى الإقليم وإنهاء الحروب الطويلة مع الوطنيين، وقام الإسبان الموجودون في تشيلي بعبور

جبال الأنديز؛ حيث أسسوا مدينة **(ميندوثا)** في الأراضي التي تنسب اليوم للأرجنتين. وهكذا أصبح الإقليم في قبضة الإمبراطورية الإسبانية.

٧- البرتغال وغزو البرازيل[١]:

نصّت معاهدة توردي-سيلاس التي وقعت عام ١٤٩٤ بين كل من الملوك الكاثوليك الإسبان خوان الثاني ملك البرتغال على إقامة خط وهمي فاصل لتحديد ممتلكات هذه الدول في الأراضي المكتشفة، وطبقاً لهذه المعاهدة فإن كل الأراضي التي كانت تقع غرب هذا الخط الوهمي امتلكتها إسبانيا ووقعت تحت سيطرتها، أما الأراضي التي كانت تقع شرق هذا الخط فقد امتلكتها البرتغال. وقد منحت هذه المعاهدة دولة البرتغال ساحل البرازيل حتى قبل أن يتم اكتشاف هذه الدولة. وسواء أكان هذا الحدث متعمداً أم من قبيل الصدفة فإن **بدرو الفاريز كابرال** حينما نزل إلى الأراضي الأمريكية في عام ١٥٠١ سرعان ما أعلن أنها أملاك برتغالية.

لم يول ملوك البرتغال المبهورون بفتوحهم الحديثة في آسيا وإفريقيا اهتماماً كبيراً بالكشف الذي حققه باسمهم كابرال، ولم يذهب أحد لاحتلال الشواطئ التي وصفها فيسبوتشي، مما حوّلها إلى حقل نموذجي للقراصنة الدوليين، وإلى وكر مغامرات لا نهاية لها. فمنذ الحملة الأولى، كشفت ضفاف ذلك الأقيانوس النباتي الكتيم عن وجود البرازيل، وهو جنس أشجار تشكل أخشابه الحمراء مادة صبغية ممتازة كانت تجلب من الهند منذ زمن قصير.

كانت هذه الأراضي نموذجاً من الفوضى حين قررت البرتغال استيطانها. إذ أنها أُخضعت خلال ما يقرب من ثلاثين عاماً لاستغلال كان على السكان الأصليين الرضوخ له، تحت وطأة أشد القوى همجية. فبيوت أجنبية كثيرة، وخاصة فرنسية، اعتبرتهم أملاكاً خاصة، كما اضطهدهم إلى حد الهوس قادة أوروبيون متسلطون.

---

[١]- ***البرازيل***: اشتق اسم البرازيل من رحلة برتغالية هامة اشترك فيها أمريكو فيسبوتشي؛ ذلك لأن السفن حملت في عودتها شحنة من خشب الصباغ أحمر اللون مثل "**البراساس**" أي "**الفحم المتوهج**"، وكان لونه براقاً حتى لو أن قطعة منه وضعت على كومة من الخشب لبدت الكومة كلها وكأنها تشتعل. وقد بيع هذا الخشب بثمن مرتفع، فكان هذا أول كنز وجده البرتغاليون في ممتلكاتهم الجديدة، وهكذا صار المكان الذي جاء منه هذا الخشب "البراسا" يعرف باسم "براسيل" أو البرازيل.

لقد شجع إهمال البرتغاليين الفرنسيين على إقامة مصانعهم الخاصة بهم على الساحل الشمالي للبرازيل، وذلك من أجل استغلال هذه النوعية من الأخشاب، وفي الوقت نفسه كان الإسبان يتجولون على شواطئ هذه الأراضي بحثاً عن ممر إلى الباسفيك، بمعنى أنهم كانوا يبحثون عن مضيق يربط بين المحيطين.

وقام التاج البرتغالي باعتماده على الأموال التي تأتي من الاستثمارات في الشرق بإرسال أول حملة استعمارية إلى البرازيل بقيادة (مارتن الفونسو دي سوسا) وذلك في عام ١٥٣٠ وقام دي سوسا بعد ذلك بعامين بتأسيس أول منشأة برتغالية دائمة في أمريكا، وهي مدينة **(سان بيثنيتي)** التي تقع بالقرب من مدينة سان باولو الحالية. ثم قسمت أمريكا البرتغالية بعد ذلك بعامين أيضاً إلى خمسة عشر داراً للقيادة الحربية، وكانت تحكم بالوراثة. وكان لكل دار اتصال مباشر بلشبونة، وقد أطلق اسم المتبرعين على النبلاء البرتغال المشهورين الذين كانوا يلقون الحضوة عند الملك والذين انعم عليهم بهذه الدور. ولسوء الحظ فإن العديد منهم لم يسافر أبداً إلى العالم الجديد، نظراً للمساعدة الضئيلة التي تلقوها من قبل التاج. أما الذين سافروا منهم فإنهم سرعان ما تأثروا بالمناخ وقلة المعادن والثروات السهلة التي كانوا يحلمون بالعثور عليها في وقت قصير. كما أن الكثير من المستعمرين تحولوا إلى مجتمعات غير منتجة، وسرعان ما تعرضت جميع الأقاليم التي تمتلكها الدور الحربية لمشكلات إدارية خطيرة باستثناء بعض الأقاليم مثل (باهيا) وسان بيثنتي وبرنامبوكو الأمر الذي أجبر العديد من النبلاء أو المتبرعين على إعلان إفلاسهم.

وبشكل عام كان الاستيطان البرتغالي في البرازيل شاقاً وبطيئاً، والمدينة البرتغالية برنامبوكو التي تم إنشاؤها دمرت عام ١٥٣٠ على يد قرصان فرنسي أباد ساكنيها وأحرق معامل تكرير السكر فيها، ولعلاج نقص اليد العاملة الذي سببته المذابح والهرب إلى المناطق الداخلية، طُلب من برشلونة إرسال تعزيزات من الأفارقة، حيث وصلت أول دفعة عام ١٥٥٢ من أنغولا وغينيا.

٨- خاتمة:

الواقع أن هؤلاء الغزاة لم يكافؤا على المجهودات التي قاموا بها إلا من الناحية المعنوية، وذلك بتسجيل أسمهم في تاريخ الاستعمار، خاصة وأنهم قد تحاربوا فيما بينهم، وشابهوا في ذلك الأطفال الذين يتنازعون لعبة معينة، كما شابهوا رجال العصابات الذين يقتتلون عند تقسيم الأسلاب

ولقد غضب البلاط عليهم. فكان يتهمهم بالخطورة إذا كانت لهم صفات رجال الدولة مثل كورتيز، وكان البلاط يقضي عليهم ويبعدهم، إذا لم يتميزوا بصفات القيادة.

وكثيراً ما قضى عليهم في أثناء قيامهم بعملياتهم إما من قبل الإسبان وإما من الهنود الحمر، مثل بالبو، الذي قُطعت رأسه، وبيزارو الذي طُعن بالسيف وغيرهم ممن غرق أو توفي بالحمى، أو أصابه الجنون أو وقع بأيدي الهنود الحمر، ولكنهم قاموا بعمل استعماري واضح، وامتدت الإمبراطورية الإسبانية التي أنشؤوها واشتملت على كل جزر الأنتيل، والبرزخ الذي يصل بين الأمريكيتين، والمكسيك مع سواحلها، وجزء هام من الشريط الساحلي للقارة الجنوبية، واشتملت على إمبراطورية الإنكا والأزتيك.

امتدت هذه الإمبراطورية من كاليفورنيا حتى شيلي، ولمسافة عشرة آلاف كيلو متر، ولم يحكم الأسكندر الأكبر ولا روما ولا جنكيز خان على مثل هذه الإمبراطورية.

ولكن هناك نقطة ضعف أخذت في الظهور بالنسبة لهذه الإمبراطورية، وكان ذلك بسبب المرسوم البابوي الذي احتفظ للبرتغاليين بالأراضي الواقعة إلى شرق خط التقسيم. ولقد تمكن كابرال من استكشاف أحد السواحل في هذه المنطقة لحساب بلاط لشبونة، وأسماه ساحل الصليب المقدس "**ساتنا كروز**". وكانت هذه المنطقة هي التي تزود العالم بخشب الموجونو. وتحولت سانتاكروز فيما بعد إلى البرازيل واكتشف فيها أحد الغزاة في شهر كانون الثاني ١٥٣١ خليجاً جميلاً، أنشأ عليه مدينة سميت **ريو دي جانيرو**.

وبدأت الإمبراطورية البرتغالية في الاتساع في العالم الجديد. ولكن اليوم الذي ضمت فيه إسبانيا البرتغال سنة ١٥٨٠ عمل على توحيد هاتين الإمبراطوريتين اللتين امتدتا من الميسيسيبي حتى أقصى الجنوب، وأصبحت كلها إسبانية، وأفادت قشتالة من كل هذه العملية.

ثانياً– الاستعمار البريطاني في أمريكا الشمالية:

١ – دوافع الاستعمار البريطاني

دافع القادة البريطانيون لمدة طويلة، ولأسباب متعددة، عن فكرة تكوين مستعمرات بريطانية في أمريكا وكانت هزيمة الإسبان في الأرمادا، والخبرة والتجارب التي قامت بها حملات جلبرت ورالي، قد مهدت الطريق للنجاح في هذا السبيل .

الدوافع الاقتصادية:

أولا: زيادة الفائض من رؤوس الأموال ، حيث دفع هذا بأصحاب الأعمال الأثرياء على البحث عن وسائل لاستغلال رؤوس أموالهم ، كما أن الشركات المساهمة قامت ببيع جزء من أسهمها إلى بعض المغامرين بهدف مشاركة هؤلاء في المصاريف والمخاطر التي تترتب على عمل غير مضمون العواقب وبذلك ظهرت عملية الاستيطان كمشاريع قامت بها شركات أو رجال أثرياء.

ثانيا: انتشار النظرية الميركانتيلية الاقتصادية في أوروبا ، أكد حاجة بريطانيا في الحصول على المعادن الثمينة – فقد أمل البريطانيون في الحصول على الذهب في المستعمرات.

ثالثا: حاجة بريطانيا كذلك في الحصول على المواد الأولية – بدلا من أن تشتريها بالذهب من بلدان أجنبية – دفعت على تشجيع إنشاء المستعمرات في الخارج حتى يكون هذه مصادر للمواد الأولية التي تحتاجها بريطانيا – والتي كانت تستوردها – وأهمها المواد اللازمة للبحرية (الصواري ، القطران ، الزفته) ، والأخشاب ، والسكر ، والتبغ ، ومنتجات المناطق الاستوائية.

رابعا: الحاجة إلى جعل المستعمرات سوقا للصناعات البريطانية الزائدة.

وخامسا: رغبة بعض الناس في الحصول على أرض لأنفسهم ، وذلك لتحسن أوضاع حياتهم ، ساعد على التشجيع على الهجرة والتوطن في أماكن بعيدة .

الدوافع الدينية :

كان ظهور عهد الإصلاح البروتستنتي في إنجلترا في ذلك الوقت قد دفع إلى ظهور فئات دينية ترغب في القيام بعبادتها الخاصة بدلا من أن تخضع لكنيسة واحدة في البلاد – الكنيسة الإنجليكانية. وبما أن الوحدة الدينية كانت مختلطة بالوحدة السياسية فقد عمل الملوك البريطانيون على إجبار الناس على إطاعة تعاليم الكنيسة المتبعة، وبذلك فقد تعرض كل الخارجين على هذا النظام إلى الاضطهاد، وهكذا حاول المضطهدون الهروب إلى أمريكا حيث الأراضي الواسعة والفرص المغرية لهم للقيام بالعبادات التي تتفق مع ما تمليه عليهم ضمائرهم. ومن بين هؤلاء المهاجرين الدينيين كانت جماعات من الكاثوليك ، والبيوريتانز، والكويكرز. هذا إلى جانب الرغبة لدى المتدينين في قلب الهنود إلى الديانة البروتستنتية . كل هذه إذن كانت الدوافع القوية التي ساعدت على الهجرة والاستيطان في العالم الجديد .

الدوافع السياسية والاجتماعية :

أولا– إن وجود فائض من السكان تحت ظل نظام اقتصادي معين قد دفع إلى البحث عن وسائل للتنفيس عن هذه الزيادة ، كما أن تجمع ملكية الأرض في أيدي معدودة نتيجة ضغط النظام الإقطاعي قد أدى إلى طرد المؤجرين عن الأرض لتحويلها إلى مراع لتربية الأغنام ومن ثم إنتاج الأصواف ذات الأرباح العالية ، وقد اضطر كثير من الناس في الأرياف للبحث عن العمل ، وهكذا كانت الهجرة وسيلة لحل هذه المشكلة الاجتماعية.

ثانيا– حب المغامرة للبحث عن فرص وتجارب جديدة – قد شجع البعض إلى الذهاب إلى أمريكا.

ثالثا ، الرغبة في الحرية السياسية دفعت جماعات أخرى إلى الهجرة فيما وراء البحار ، وأخيرا فإن الحكومة البريطانية كانت تعمل على إضعاف النفوذ الإسباني عن طريق إنشاء مراكز عسكرية لها في الخارج.

٢ – أهم المستعمرات الإنكليزية:

أ– مستعمرة جيمس تاون:

عند وفاة الملكة إليزابيث خلفها على العرش جيمس الأول عام ١٦٠٣ م. لقد اعتبر جيمس أن من حقه أن يرث كل الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية الواقع بين خطي العرض ٣٤ و ٤٥ شمالا، وفي عام ١٦٠٦ م أعطى الملك حقا رسميا لشركة مساهمة تدعى **(شركة فرجينيا)** بالقيام بتكوين مستوطنات في الخارج، تلك الشركة كانت مكونة من فرعين أحدهما في مدينة لندن ويسمى **(شركة لندن)** والآخر في مدينة بليموث ويسمى **(شركة بليموث)**. وبموجب هذا الحق فقد أعطي شركة لندن امتيازا بتأسيس مستعمرات في الأراضي الواقعة بين خطوط العرض ٣٤ و ٤١ شمالا. وقد نص أحد بنود الامتياز على أن يتمتع سكان هذه المستعمرات بالحصانات والحريات التي يمكن أن يتمتعوا بها لو بقوا في وطنهم الأم، كما أعطيت الشركة حتى صك النقود وفرض الضرائب وسن القوانين هناك مع المحافظة على سلطان العرش.

وفي ربيع عام ١٦٠٧ م اتجهت ثلاث سفن إنجليزية وعلى ظهرها مائة وخمسة رجال إلى ساحل أمريكا الشرقي، حيث حطت رجالها على أرض منخفضة في خليج شيزابيك عند مصب نهر جيمس ، وقد أطلق على المنطقة اسم فرجينيا ، نسبة إلى الشركة ، وعلى المستعمرة اسم **جيمس تاون** نسبة إلى الملك. ولم يكتب لهذه المستوطنة النجاح الكامل إلا بعد بضعة سنوات ، نظرا للظروف القاسية التي لاقوها في سنواتهم الأولى، ولم يستمر هؤلاء في مكانهم الجديد إلا بفضل جرأة وحزم وإقدام أحد زعمائهم ويسمى **(جيمس سميث)** .

إن ما تحملته هذه المستعمرة من صعوبات يرجع إلى:

أولا– إن اختيار الموقع كان غير موفق، حيث كان ذلك في منطقة تحيط بها المستنقعات ومن ثم مليئة بالملاريا.

ثانيا– عدم وجود دافع الكد والعمل لدى الأفراد طالما أنهم كانوا شركاء في الأرباح بغض النظر عن الجهد الذي يبذله أي واحد منهم.

ثالثا– الجهد البسيط في التأقلم مع مثل هذه البيئة والانتفاع مما فيها من خيرات؛ رابعا ، عدم ملائمة المستوطنين لهذا النوع من العمل – فمعظمهم من الرجال الذين لم يتعودوا على ما يتطلبه الاستيطان من عمل وجهد شاق.

وأخيرا– ضياع الوقت في البحث عن الذهب وعن ممر إلى جزر الهند الغربية .

ب– مستعمرة بليموث:

في عام ١٦٣٠ م، أصدر الملك البريطاني امتيازا جديدا بقضي استعمار كل الأراضي الواقعة بين خطي العرض ٤٠ ، ٤٨ شمالا، أي الأراضي المعروفة باسم إنجلترا الجديدة ، وقد كان معظم المهاجرين إلى هذه الأراضي من أولئك الذين تعرضوا للاضطهاد الديني في إنجلترا بصورة خاصة وفي القارة الأوروبية بشكل عام. فجماعة المتدينين الانفصاليين في بريطانيا كانت تؤمن بضرورة استقلال كل مذهب ديني بحيث يضع تعاليمه بنفسه دون تدخل الكنيسة الأنجليكانية ، ولكن هذه الكنيسة رفضت السماح لهذا النظام، وبذلك بدأت جماعة الانفصاليين تعارض سلطة الكنيسة الأنجليكانية باعتبارها سلطة تعسفية مما عرض الجماعة للاضطهاد الديني. وعلى ذلك فقد قررت فئة منهم تسكن مدينة سكروبي الإنجليزية الهجرة إلى هولندا، ولكنهم لم يرغبوا في أن يصبح أبنائهم رعايا هولنديين فعزموا على الهجرة إلى العالم الجديد.

وقد تولت جماعة من التجار الإنجليز في لندن تمويل هجرتهم مقابل حصة من الصادرات التي تعهدوا بإرسالها إلى إنجلترا في المستقبل. وقد انضم إلى هذه الجماعة أناس من لندن رغبوا في الهجرة بحثا عن حياة أفضل. وعلى ظهر سفينة سموها **ميفلاور** غادر هؤلاء الحجاج – هكذا كانوا يسمون أنفسهم – مرفأ بليموث في إنجلترا في ١٦ أيلول عام ١٦٢٠ م . وكانت وجهتهم فرجينيا .

وعندما أجبرت العواصف السفينة أن تجنح عن طريقها ، ووجد الحجاج بأنهم سينزلون على أرض خارج حدود منطقة فرجينيا، واتفقوا فيما بينهم على وضع ما سموه **(ميثاق ميفلاور)**. لقد تعهد الجميع في هذا الميثاق على طواعية نظام للحكم تكون فيه الكلمة الأولى للغالبية، وفي عام ١٦٢١ م حصل هؤلاء على ملكية الأرض التي نزلوا عليها بكتابة ميثاق مع (مجلس نيو إنجلند) الذي خلف شركة فرجينيا، وقاموا بتأسيس مدينة صغيرة أسموها بليموث في ولاية ماستشوستس الحالية.

وبجانب الزراعة ، فقد زاول هؤلاء تجارة الفراء. كان أول شتاء قضاه الحجاج – هناك – قاسيا مما أدى إلى موت أكثر من نصفهم. وظل تطور المستعمرة بطيئا ، ولم يزد عدد سكانها على ٣٠٠ نسمة. في البداية كان الحاكم ومعاونيه يجتمعون مع كل السكان للقيام بإصدار التشريعات الضرورية للمستوطنات، وتنظيم المحاكم، وقد سميت هذه الاجتماعات في كل مستوطنة (اجتماعات القرية)، وهذه تعتبر بمثابة ديمقراطية مباشرة في الحكم. وفيما بعد، بازدياد عدد السكان، وباستحالة اجتماع الكل في مكان واحد، فقد أصبحت البلدان الأبعد تختار ممثلين عنها لحضور الاجتماع التشريعي العام. كان وليام برادفور هو أول حاكم لمستعمرة بليموث، وقد دام حكمه حوالي ثلاثين عاما. في عام ١٦٨٦ م، أصبحت بليموث جزءا من (اتحاد نيو إنجلند) الدينية الكاملة للجميع.

جـ– كونيكتيكت:

إن وجود أرض خصبة حول نهر كونيكتيكت ومغريات تجارة الفراء كان الدوافع الرئيسية حول إنشاء هذا المستوطنة، أما الخلافات حول الأمور الدينية والسياسة فقد كانت عبارة عن دوافع ثانوية في تأسيسها. وهكذا قام توماس هوكر في عام ١٦٣٦ م بقيادة جماعة من المهاجرين من

نواحي بوسطن متجها إلى الغرب، وأنشأوا مستعمرة **هارت فورد**، وفي نفس العام أقيمت مستوطنات أخرى بواسطة مهاجرين من منطقة ماستشوستس. وفي عام ١٦٣٩ م قام سكان هذه المستوطنات بكتابة ما أسموه (قوانين كونيكتيكت الرئيسية) التي وضعت نظام الحكم في هذه المستوطنات، وتعتبر هذه القوانين أول دستور مكتوب للحكم في أمريكا. وقد تضمن هذا الدستور حكومة تمثيلية لكونيكتيكت سميت (المحكمة العامة)، وقد جمعت المحكمة في يدها سلطات تشريعية وقضائية وإدارية بحيث تسبه المحكمة العامة في ماستشوستس.

وكانت جماعة بيوريتان لندن قد أنشأت ما سمته بمستوطنة **نيوهيفن** عام ١٦٣٧ م بقيادة كل من القسيس جون دافنبورت والتاجر ثوفيلس إيثون. هذه المستعمرة التي سكنها البيوريتان فقط، كانت قد تعرضت لعدة متاعب بحيث اضطرت في عام ١٦٦٢ م بأن تنضم إلى كونيكتيكت تحت ميثاق واحد بين المستعمرتين.

د- نيوهامشير، ومين:

في عام ١٦٢٣ م، وهبت الحكومة البريطانية قطعتين من الأرض شمال ماستشوستس؛ واحدة للكابتن جون ميسون والأخرى إلى فردناندو جورجيس. أما الأول فقد أخذ الجزء الغربي وسماه **نيوهامشير**، وأما الثاني فقد أخذ الجزء المحاذي للساحل وسماه **مين**. وعندما لم ينجح القادمون الجدد في عملية التوطين فقد استوطن هذه المناطق مهاجرون من ماستشوستس، وأصبحت حكومة المناطق الجديدة تابعة لمستعمرة الخليج. وفي عام ١٦٧٩ م جعل الملك شارل الثاني نيوهامشير مستعمرة مستقلة، أما مين فقد بقيت جزءا من ماستشوستس إلى أن دخلت الاتحاد الفيدرالي عام ١٨٢٠ م.

أما الجزء المتبقي من نيوإنجلند والذي يدعى فيرمونت فإنها كانت جزءا من نيويورك إلى أن قبلت كولاية مستقلة في الاتحاد الفيدرالي عام ١٧٩١ م. وعندما عارضوا حكم البيوريتانيين الديني فقد أجروا على المغادرة أو اختاروا طواعية أن يتركوا بوسطن، وكان جون ونثروب من أشهر قادة بوسطن وقد خدم كحاكم معظم الفترة من ١٦٣٠-١٦٥٠ م.

هـ- مستعمرة رود آيلند:

عدم التسامح الديني الذي سيطر على حكام ماستشوستس كان لابد من أن يؤدي إلى معارضة بعض سكان المستعمرة، وكل معارضة كما قلنا كان يحكم عليها بالطرد. وهذا ما حصل مع روجر وليامز أحد سكان ماستشوستس. لقد كان قسيسا مثقفا تخرج من جامعة كامبردج، وقد جلب على نفسه غضب ومعارضة حكام بوسطن البيوريتان لاختلافه معهم في الرأي بخصوص طريقة الحكم في بوسطن. لقد آمن وليامز بضرورة فصل الكنيسة عن الحكومة، ودعى إلى استقلال كل طائفة لوحدها (بمعنى أنه عارض حكم البيشوبس. كما آمن بالحرية الدينية للفرد، ودعا إلى أن الطريقة الشرعية الوحيدة للحصول على الأرض إنما يجب أن تكون عن طريق شرائها من الهنود. وهكذا كان لابد لوليامز من الرحيل؛ حيث اتجه إلى جنوب بوسطن، وأسس هناك، مع ما لحقه من أتباع، **مستعمرة رود أيلند**، التي أصبحت تجمع فيها عدة مستوطنات.

في البداية عندما حكم على وليامز بالخروج عام ١٦٣٥ م، هرب إلى هنود نرقنست. وفي عام ١٦٣٦ م بدأ مستوطنة بروفدنس التي أصبحت أساسا لرود أيلند. ظهر هناك معارض آخر لنظام الحكم في بوسطن، وهذه المرة كانت السيدة آن هتشنسون التي أوجدت نزاعا في بوسطن بسبب معارضتها للحكم الديني، وبذلك خرجت وأتباعها من بوسطن وأنشأت مستوطنة بورتسموث عام ١٦٣٨ م بالقرب من بروفدنس – مستوطنة وليامز. في عام ١٦٩٣ م ظهرت معارضة في بورتسموث كان قائدها وليام كود نقتون حيث أجبر أهالي المستوطنة هذه المجموعة على ترك بورتسموث، فرحل هؤلاء وكونوا لهم مستوطنة في نيوبورت. هذا وقد ظهر معارض آخر في بوسطن يدعى صامويل نيوبورت، وعندما أجبر على الرحيل قام بإنشاء مستوطنة ووروك عام ١٦٤٣ م. وبهذا أصبح عدد المستوطنات في رود أيلند أربعة. في عام ١٦٤٤ م استطاع وليامز الحصول على ميثاق من البرلمان بالبريطاني بالسماح بوجود أربع مستوطنات في رود آيلند ، وفي عام ١٦٦٣ م أعطى البرلمان لهم ميثاقا دائما حيث ضمن هذا الميثاق الحرية، وفي عام ١٦٩١ م، انضمت إلى **مستعمرة ماستشوستس**.

وبسرعة أخذت بعد ذلك تتوطد الأمور على ساحل ماستشوستس وخاصة بعد أن وفدت جماعات كثيرة من البيوريتانيين، حيث كان هؤلاء يعترضون على الكنيسة البروتستانتية البريطانية ،

دون أن يفكروا في الانفصال عنها؛ إنما كانوا يريدون تنقيتها. وقد لقي هؤلاء نجاحا سريعا بسبب تنظيمهم مما جعل عددهم يزداد بسرعة.

و- مستعمرة خليج ماستشوستس:

هي أولى المستعمرات التي أنشأتها جماعة البيوريتانيين، وقد كانت هذه أكبر وأكثر أهمية من مستعمرة بليموث، وقد بدأت كمشروع تجاري للصيد البحري وفيما بعد وفد إليها آلاف من البيوريتانيين الذين يعملون في الزراعة. في عام ١٦٢٩ م قام منشئو المستعمرة الأولين بالحصول على ميثاق بالحكم الذاتي للمستعمرة، وتعتبر سنة ١٦٣٠ م البداية الرسمية لهذه المستعمرة، عندما عين جون ونثروب حاكما لها حيث استقر بقرابة ألف من أتباعه في جهة سميث بوسطن، وفيما بعد ظهرت قرى جديدة محيطة ببوسطن بين ١٦٣٠-١٦٤٠ م، نتيجة موجة من الهجرة أطلق عليها (الهجرة الكبرى)، حيث جاء حوالي ٢٥,٠٠٠ من البيوريتانيين إلى ماستشوستس للهرب من اضطهاد الكنيسة الأنجليكانية خلال حكم شارل الأول .

ز- اتحاد نيو إنجلند الكونفدرالي :

نظرا للأخطار العسكرية التي تعرضت لها مستعمرات نيو إنجلند من القبائل الهندية ،ومن الهولنديين في الجنوب الغربي ، ومن الفرنسيين في الشمال (كندا) فقد ظهرت أول فكرة لجمع هذه المستعمرات في وحدة واحدة عام ١٦٤٣ م. وقد تكون الاتحاد من أربع مناطق: ماستشوستس، بليموث، كونتكيكت ونيوهيفن. وقد استمر هذا الاتحاد حتى عام ١٦٧٤، ولكنه لم يكن فعالا إلا حتى عام ١٦٦٥ م. أما (الخوارج) في رود آيلند فلم يسمح لهم بالانضمام إلى الاتحاد. وقد كانت كل منطقة ترسل اثنين من الممثلين عنها ليقرروا سياسة الاتحاد تجاه القبائل الهندية ، والعلاقة مع الدول الأجنبية ، وحسم الخلافات الداخلية بين المناطق . وقد انحل الاتحاد لعدم تعاون منطقة ماستشوستس.

ح- تأسيس المستوطنات الجنوبية:

جميع المستوطنات الجنوبية أنشئت بواسطة عقود خاصة، ما عدا فرجينيا وديلاوير حيث أنشئتا كشركات تجارية .

١-ميريلاند:

كان السير جورج كالفرت قد حصل من الحكومة البريطانية على قطعة الأرض تعتبر منحة وتمتد من نهر البوتوماك حتى خط عرض ٤٩٦°، وذلك لتوطين بعض الكاثوليك البريطانيين الذين تعرضوا للاضطهاد الديني في عام ١٦٣٢ م. وعندما توفي كالفرت آلت الملكية إلى ابنه سيليوس كالفرت. وفي عام ١٦٣٤ م أنشئت أول مستوطنة في **سينت ميري**، وقد نمت أحوالها منذ البداية كمستوطنة زراعية، واستفادت من خبرات فرجينيا (لأنها مستوطنة أقدم) وكذلك من المساعدات المادية التي قدمتها تلك المستعمرة. لقد كانت سينت ميري (لأنها مستوطنة أقدم) وكذلك من المساعدات المادية التي قدمتها تلك المستعمرة . لقد كانت سينت ميري نموذجا للمستوطنات الخاصة، فقد كان كالفرت يؤجر إقطاعيات كبيرة (١٠٠٠-٣٠٠٠ هكتار) لبعض اللوردات الكبار، وهؤلاء يؤجرونها إلى صغار المزارعين، وهكذا فقد انتقل النظام الإقطاعي البريطاني إلى أمريكا. ولم يكن لصغار المزارعين أي واجبات تجاه اللوردات الكبار إلا أن يدفعوا ضريبة صغيرة ، وهكذا بصورة فعلية ، فقد كان صغار الملاك هم الذين يملكون الأرض.

٢- توطين مناطق الكارولانيا:

مايسمى حاليا شمال وجنوب كارولاينا مع كقطعة واحدة في جنوب مستوطنة فرجينيا إلى ثمانية من أصدقاء الملك شارل الثاني عام ١٦٦٣ م. وقد بدأ توطين هذه المناطق بنجاح في عام ١٦٧٠ م، عندما قامت حملة استكشافية بإنشاء مدينة شارل، وفيما بعد سميت شارلستون، وقد طلب أصحاب المنحة من الفيلسوف جون لوك بأن يكتب لهم نظاما للحكم في هذه المنطقة، وقد أطلق عليه (الدستور الأساسي لكارولاينا). وقد أصبح هذا الدستور مثالا للنظام الإقطاعي، مما جعل السكان لا يرغبونه ، نظرا لاختلاف الظروف في العالم الجديد ، وهكذا كان مصيره الفشل . ومع مرور الزمن فقد عمل هؤلاء لأنفسهم نظام حكم يناسبهم.

فشلت هذه المناطق في تأسيس نظام زراعي ناجح، وبالتالي فقد اتجهوا إلى تجارة الجلود مع القبائل الهندية في الجنوب الغرب . وبمجيء عام ١٧٠٠م نجحوا في زراعة الأرز الذي أصبح يجلب لهم أرباحا عالية ، وهذا دفعهم إلى استيراد الرقيق لفلاحة الأرض ، وهكذا ظهر نظام الاعتماد على الرق في العالم الجديد.

استقل القسم الشمالي من هذه المنطقة في عام ١٧٢٩م، عندما باع أصحاب العقد الأول حقهم إلى الملك، وازدهرت في المناطق الوسطى منه مستوطنات جديدة. وباستقلال هذه المنطقة عن شارلستون، ظهر فيها مجتمع ديمقراطي تتكون غالبيته من صغار الملاك، حيث اختلف هذا تماما عن النظام الأرستقراطي الذي ظهر في فرجينيا وكارولاينا الجنوبية.

٣- جورجيا:

كانت هذه آخر مستوطنة بريطانية أنشئت في أمريكا الشمالية، وقد تأسست هذه المنطقة يمنح جيمس أوجليثورب – الذي كان يرأس مجلسا خيريا – عقدا لمنطقة من الأرض في عام ١٧٣٢ م، وفي السنة الثانية فقد بدأ أوائل المهاجرين يصلون إلى المنطقة وأسسوا مدينة سفانا. وكان هؤلاء المهاجرين قد حضروا من مناطق مختلفة من الجزر البريطانية: اسكتلندا، سالزبورج، ويلز، بالإضافة إلى إنجلترا.

أهم البواعث التي ساعدت على إنشاء جورجيا كانت:

أولا- خلق منطقة تفصل بين الكارولاينا وبين الإسبانيين في فلوريدا إلى الجنوب

ثانيا- ليجعلها ملجأ لأصحاب الديون الذين كانوا في سجون بريطانيا.

ثالثا- لجعلها ملجأ لأولئك البروتستنت الذين تعرضوا للاضطهاد الديني في أوروبا

أخيرا- لمحاولة إقناع الهنود باعتناق المسيحية. وقد كانت الخطة بأن يعتمد الاقتصاد على صغار الملاك لإنتاج الحرير والنبيذ ، ولكن لم تنجح هذه الخطة إلا عندما وضعت قوانين ضد الملكيات الكبيرة وضد الرق، وهكذا فقد رأى هذا إلى ظهور نظام اقتصادي يشبه ذلك الذي في كارولاينا الجنوبية . في عام ١٧٥١ م، أصبحت جورجيا مستوطنة ملكية.

ط- تأسيس المستوطنات الوسطى

أصبحت المستوطنات الوسطى بريطانية في عهد الملك شارل الثاني ، بعد رجوع ملوك الستيوارت إلى الحكم . كدوق يورك وكذلك وليام بن المؤسسين لكل من نيويورك، بنسلفانيا ، نيوجيرسي، وديلاوير. كانت الأخيرة تشبه إلى حد كبير المستوطنات الجنوبية، وقد ظل حاكما بنسلفانيا إلى حين مجيء الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦ م.

١ –نيويورك:

أنشئت هذه المستوطنة أصلا بواسطة الهولنديين، وقد استولى عليها البريطانيون بعد حروب ثلاثة مع الهولنديين خلال القرن السابع عشر. فقد وجد البريطانيون بأنها تفصل مستوطناتهم الجنوبية عن الشمالية، وبذلك تشكل خطرا على القسمين، كما أنها كانت تنافسهم في تجارة الفراء. ولذلك فقد منح الملك شارل الثاني أخيه دوق يورك في عام ١٦٦٤ م الأرض الواقعة بين كونيكتيكت وديلاوير، وأعانه بأسطول بحري للاستيلاء عليها. وقد استطاع الدوق الاستيلاء عليها في نفس السنة، وغير اسمها إلى نيويورك. وقد كانت أول المستوطنات ديمقراطية نظرا للحكم الفردي الذي تمتع به الدوق في المنطقة.

٢ – بنسلفانيا:

كان وليام بن قد أنشأ مستوطنة على غرار أوجلثورب في جورجيا، وكان باعثه على ذلك حتى تكون ملجأ للكويكرز من الاضطهاد الديني الذين تعرضوا له في أوروبا. في عام ١٦٨١ م منح الملك شارل الثاني هذه المنطقة إلى بن كسداد لدين كان عليه لوالد وليام. وقد تمتعت هذه المستوطنة – التي أطلق عليها وليام (التجربة المقدسة) – بحرية العبادة وبنظام حكم مستقل . وقد باع وليام الأرض إلى الكويكرز وإلى بعض المهاجرين الألمان. كما تمتعت أيضا بحسن المناخ والاستفادة من المهاجرين الأولين إليها. كان بحكم المستوطنة مجلس تشريعي واحد، ولكن هذا النظام لم يناسب المستوطنين نظرا لاتساع رقعة الأرض، حيث كان يكره هؤلاء دفع الضريبة الصغيرة إلى صاحب العقد.

حرية النظام في هذه المستوطنة استرعت انتباه الكثير من المهاجرين، وهكذا فقد نمت أحوالها بسرعة شديدة. كان الإعلان عن نظام الحكم في هذه المستوطنة في ألمانيا قد استرعى انتباه الكثير من المتطرفين الدينيين هناك؛ خصوصا رخص الأرض والحرية الدينية. وعلى ذلك فقد

شملت هذه المستوطنة أنواعا متباينة من المهاجرين أكثر من أي مستوطنة أخرى في أمريكا الشمالية.

٣- ديلاوير:

أنشئت هذه المستوطنة أصلا بواسطة السويديين، ثم احتلها الهولنديون، وفيما بعد أصبحت ضمن المنطقة التي منحها الملك شارل الثاني: إلى أخيه دوق يورك. في عام ١٦٨٢ م اشترى هذه المستوطنة من دوق يورك حتى يحصل على مخرج إلى البحر لمستوطنة بنسلفانيا. في عام ١٧٠٢ م، أعطى لهذه المستعمرة حق انتخاب مجلسها العام، ولكن بقيت عائلة بن صاحبة الحق فيها؛ ومن ثم كانت تعين حاكم المستوطنة.

ي- مستوطنات وست إنديز:

لم يستوطن البريطانيون في الأرض اليابسة فقط، وإنما قاموا بإنشاء مستوطنات أخرى بحرية مقابل الساحل الشرقي لقارة أمريكا الشمالية . فقد قام السيد جورج سومرز بإنشاء مستوطنة في جزيرة برمودا عام ١٦١٢ م وذلك لزراعة التبغ، ثم استوطن بريطانيون آخرون في جزيرة باربادوز عام ١٦٢٥ م، وكذلك فيما بعد سينت كريستوفر عام ١٨٢٣ م وذلك لغرض زراعة قصب السكر في هذه المناطق، حيث أصبح المحصول الرئيسي لها. أما جزيرة جاميكا فقد حصل عليها البريطانيون بعد حرب مع إسبانيا عام ١٦٥٥ م؛ حيث استخدمت أيضا لزراعة قصب السكر معتمدة على جلب الرقيق للعمل في الأرض. وقد اتضح بأن هذه المستوطنات البحرية كانت مريحة للبريطانيين أكثر بكثير من المستوطنات في الأرض اليابسة في كل ساحل الأطلنطي الغربي.